



Women and Colonialism in the Spartan Court Novel

Dr. Soufrani Soufrani ¹

¹: University of Medea - Algeria, 197218@gmail.com

Abstract:

The narrative is a literary discourse that addresses human issues by narrating their events within an artistic framework that blends reality with the addition of imagination. Among the most important of these issues is the issue of liberation, which is the crown of humanity. If it is lost, dignity and self are lost. The novelist describes the brutality and tyranny of the colonizer if he comes to a country, from which neither the old nor the young, male nor female is spared. In this article, I focus on the suffering of women from the torments inflicted upon them by the colonizer, represented in the character of Douja within the novel *The Spartan Court* by Abdelwahab Aissaoui. This suffering is divided into two categories: as a human being, such as illness, poor living conditions, and ignorance, and as a woman, such as loss of honor and exploitation in prostitution.

Keywords: woman, dodja, suffering, colonialism, poverty, ignorance, disease, brothel.

Received: 29 Apr 2026

Accepted: 16 May 2026

Published: 01 Jun 2026

المرأة والاستعمار في رواية الديوان الإسبرطي (عبد الوهاب عيساوي)

د. سفراني سفراني¹

¹: جامعة المدية، الجزائر، 197218@gmail.com

ملخص

الرواية خطاب أدبي يعالج القضايا الإنسانية بسرد وقائعها ضمن قالب فني يمزج بين الحقيقة وإضفاء الخيال، ومن أهم هذه القضايا، قضية التحرر التي هي تاج الإنسانية إن فقدت، فقدت الكرامة والذات، حيث يصف الروائي وحشية وتسلط المستعمر إذا ما حل بأي بلد، لا يسلم منها الكبير أو الصغير أو الذكر أو الأنثى، وأركز في مقالي هذا، حول معاناة المرأة من العذابات التي تسلط عليها من المستعمر الفرنسي متمثلة في شخصية دوجة ضمن رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي، هذه المعاناة التي تنقسم إلى صنفين: كإنسان المرض وسوء المعيشة والجهل، وكأنثى من فقدان الشرف و الاستغلال في البغي.

الكلمات المفتاحية: المرأة، دوجة، معاناة، استعمار، فقر، جهل، مرض، مبغي.

المقدمة

الرواية المعاصرة مرآة عاكسة لتفاعلات المجتمع سواء كانت أحداثا تاريخية أو أحداثا من الواقع المعيش، تبرزها في أسلوب سردي يجعل القارئ يقبل عليها بشغف بفك شفراتها من ناحية وجهة المضامين المعالجة في متن الرواية أو من ناحية البناء اللغوي المتفرد، بحسن السبك والتلاحم بين العناصر اللغوية في الخطاب الروائي، وتنفرد الرواية التاريخية بالتركيز على الأشخاص سواء كان من واقع الأحداث أو من مقارنة الروائي، يضيف عليها من مخيلته، ومن بين هذه الروايات، رواية الديوان الإسبرطي لصاحبها عبد الوهاب عيساوي، رواية تاريخية تعالج أحداث تاريخية من 1816 إلى 1833م بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر وما أعقبها من أحداث، اجتبت لها خمس شخصيات لكل شخصية دورها في متن الرواية، ومن أهم الشخصيات شخصية دوجة التي تتمثل المرأة الجزائرية إبان الاستعمار، خصص لها الكاتب مقاطع في أقسام الرواية الخمسة، وصف فيها معاناة المرأة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي، وبين مظاهر هذه المعاناة عن طريق السرد بواسطة هذه الشخصية.

ما هي مظاهر معاناة المرأة الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي؟

وما رمزية شخصية دوجة كامرأة جزائرية في الرواية؟

هل وفق الروائي عبدالوهاب عيساوي في إبراز معاناة المرأة أثناء الاستعمار؟

الخطة : مقدمة

المبحث الأول: معاناة المرأة إبان الاستعمار كإنسانة في رواية الديوان الإسبرطي.

أولا رمزية دوجة في الرواية

ثانيا : معاناة سوء المعيشة

ثالثا: المرض

رابعا: الجهل

خامسا: فقدان الأحبة

المبحث الثاني : معاناة المرأة الجزائرية في الاستعمار كأنثى

أولا : فقدان الشرف

ثانيا: الاستغلال في البغي

المبحث الثالث : الجمالية في الخطاب السردى لدوجة.

أولا: من ناحية البناء.

ثانيا:من التعبير واللغة.

خاتمة.

المبحث الأول: معاناة المرأة إبان الاستعمار كإنسان في رواية الديوان الإسبرطي.

تضمنت رواية الديوان الإسبرطي ل عبدالوهاب عيساوي خمس شخصيات منها الفرنسية

دييون وكافيار والجزائرية ابن ميار وحمّة السلاوي ودوجة ،ولكل شخصية خصوصيتها واتجاهها

في تفاعل أحداث الرواية ، فمن هي دوجة؟

دوجة: فتاة يانعة من الريف الجزائري¹ ،تتكون عائلتها من الأب وأخيها الأصغر منها منصور ،

أبوها يعمل في بيت القنصل السويدي، عملت خادمة في بيت شيخ الحي ،وبعد فقدان أخيها وأبيها

رحلت إلى العاصمة ،هناك بدأت قصتها في فقد شرفها وإرغامها على مزاوله الفاحشة في المبغى ،

إلا أن خرجت منه إلى بيت ابن ميار ، أين تعلقت بحمّة السلاوي ونشأت بينهما قصة حبّ.

أولا رمزية دوجة في الرواية

الرمز لغة هو تصويت خفي باللسان كالهمس والرمز إيماء بالعينين والحاجبين

والشفتين والفم، والرّمز كل ما أشرت إليه مما يظهر بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أوعين.²

أما القرآن الكريم: قال تعالى: «آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيّام إلا رمزا»³

أما الاصطلاح: شيء حسيّ يعد إشارة إلى شيء معنوي، لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار وجود مشابهة بين شيئين أحست بهما مخيلة الرامز.⁴

عادة توظيف شخصية المرأة لها دلالة رمزية، يستشفها كل قارئ لبيب للرواية وهنا **دوجة** تمثل العاصمة والجزائر كلها، استباح حكمها من طرف الفرنسيين كما استباح شرف وعذريّة دوجة، عانت الجزائر من سلب خيراتها كما عانت دوجة من الفقر أجبرها على العمل في البيوت، ونقشي الأمراض في عموم الشعب العاصمي رمز له بأمراض عائلة دوجة الأخ منصور⁵ ثم الأب، ناهيك نقشي الجهل حيث منع التدريس للعلوم العربية والإسلامية في المساجد والمدارس وضيق عليه، رمز له بأمية دوجة، كان رمزا واضحا من طرف الروائي، و ذكره عن طريق حمّة السلاوي حين قال: "لو عاد صديقي ابن ميار سيرة دوجة فقط، لأدرك بسهولة لا تختلف إلا بالقدر السلاوي حين هذه المدينة"⁶، وهذا التشابه: فالمدينة عندما احتلّها الفرنسيون فقدت شرفها وصار يستباح أهلها وممتلكاتهم وحكمها، كذلك دوجة صارت لعبة على يد الرجال في المبغي يعبتون بشرفها.

ثانيا معاناة دوجة الإنسان من الاستعمار الفرنسي، المثبت تاريخا أنّ الاستعمار الفرنسي لم يترك أسلوبا من أساليب الوحشية والتّكيد إلا استعملها، من القتل والإعدام، وسلب الممتلكات، والتّهجير والتجوع، والاعتصاب، وإهمال الرّعاية الصحيّة مما جعل الأمراض تفتك بالجزائريين، ومثال ذلك دوجة الشابة الجزائرية.⁷

ثانيا: معاناة سوء المعيشة:

دوجة بنت رجل فقير يعمل بستاني في بيت القنصل السويدي بالمحروسة يأتيهم من حين إلى آخر بجلوى الطحين وبعض الفاكهة، وهذا دليل أنهم يعيشون الفقر حيث يفرحون بما يجلبه الأب لهم مرة في الوقت تقول دوجة: "كان يحمل لنا بعض الفواكه المجفّفة في جيبه نسعد بها ونفرح حين كان يقترب من الباب".⁸

وفي مقام آخر تصف الجذب الذي نال من أرضهم إبان الاستعمار حيث تقول:

"يعود إلى الأرض يحرثها، ثم صارت لا تهب شيئا، برت ثم نفق الحصان، ثم اضطر أبي لترك المحراث حتى مغروسا في الأرض حتى تبيّست من حوله"⁹

وهنا فقدان غلة الأرض بسبب الجذب بارت الأرض ومات الحصان، وتوقّف الحرث والبذر، مما يسلب العوز والفقر على عائلة دوجة.

عمل دوجة في بيت شيخ الحي بعد ما فقدت معيها الأب

تقول دوجة: "حتى شيخ الحي الذي كنت أظنهم أفضلهم، لم يكن ليختلف عنها
وأما لي بالسير معه..... كنت إلى جانبه حتى بلغنا بيتا في الحي، أدخلني إليه وقدمني
إلى زوجته وأولاده، اعتقدت أنني وجدت بيتا آخر آوي إليه، وعلى هذا النحو كانت أيامي الأولى، لم
تتهكني زوجته بأعمال كثيرة، من تلقائي نفسي كنت أستيقظ كل فجر، أبدأ أعمال البيت، ثم أوقف
الأطفال إلى كتابهم، يمرُّ بي الشيخ وهو يتحَيَّن للصلاة.....ومرَّ الشهر الأول على ما يرام، لكنَّ
الشَّهر الثاني كان مختلفا، إذ لاحظت أن الشيخ كان يطيل النَّظر إلى جسدي،..... لاحظت زوجته
اهتمامه الزائد بي منذ البداية..... وأحيانا كان يلج إلى غرفتي، أكون في نصف ثيابي فلا
يحتشم،..... تلمحه زوجته من طرف الباحة، وتتحوَّل معاملتها صارت فظةً تحملني ما لا طاقة
لي به من أعمال البيت، تصرخ في وجهي كلما تقابل وجهانا،..... سمعت صراخها : لا
أريدها....وانتهيا إلى طردي من البيت، مثلما دخلته متأبطة صرتي رحلت عنه،وافترشت أرض
السُّوق¹⁰.

من خلال هذا المقطع من الرواية تبرز معاناة دوجة وما يجره إليها العوز والفقير:

- تعمل خادمة في البيت، رغم حداثة سنِّها.
- فقدان الأهل أرغمها على العمل خادمة.
- تحرش الشيخ بها رغم أنه من أهل الصلاح، فما بالك بمن هو أقل منه صلاحا.
- حقد زوجة الشيخ عليها رغم أنه لا دخل لها في تعلق الزوج بها.
- طردها من البيت رغم استقامتها في العمل وحسن أخلاقها.
- وهذا كله جراء وحشية الاستعمار الذي سلط عليها وعلى أهلها الفقير.

ثالثا: المرض

من موبقات الاستعمار أن يهمل الرِّعاية الصحيَّة لأهل البلد، فتتفشَّى الأمراض الخطيرة،
فيموتون تباعا، ودوجة لم تكن بدعا أو نشازا عن هذه المصائب الاستعمارية، فقد مرض أخوها
منصور إلى أن توفي، ومرض أبوها إلى أن توفي.

أ/ مرض أخيها منصور:

تقول دوجة: " كان أبي لا يزال يعمل في بيت القنصل السويدي.... قبل أن يسلم علي يسألني
عن منصور، وفي كل مرة أجد أكثر تلفها عليه، يمل صرة أدوية يخبرني أن طبيبا زار المحروسة
قبل أيام، وأعطاه دواء سيشفى منصورا..... يجلس صامتا تتلمس كفه جبهة منصور، ثم تتحس صدره
إن كان البقع رحلت عنه، ولكنها كانت تعلن عن نفسها في مكان جديد، تبدأ صغيرة ثم تمتلئ
بالقيح، وتنفجر فجأة مخلقة بثورا عبر كامل جسده، حتى تخرم جسده..... يغيب شهرا، ثم يعود

محملاً بكيس الدواء، يدهن به جسده، ثم لا يحدث شيئاً.... ثم يغيب إلى عمله ثم يرجع ليجد منصوراً في انحدار.....عزى جسده وورع المرهم عليه، وسقاه من محلول آخر، وأعلمه أنه لم يبق الكثير، لم أفهم قصد أبي الشفاء أو الموت..¹¹

في هذا المقطع من الرواية يصور الروائي صراع الطفل منصور مع المرض :

- سعي الأب في جلب الدواء لشفاء ابنه منصور .

- كانت الأدوية غير نافعة، نظراً لبساطتها وتقليدية.

- يتعذب الطفل من المرض، ويتعذب معه أبوه وأخته درجة

المستعمر كان يقصد إهمال الرعاية الصحية للجزائريين وخاصة الأطفال، حتى يفنى الشعب ويتهاك، مخفية الكثرة التي يؤرقه من ثورة عليه، فهو يمنع الأدوية الفعالة والعناية والاهتمام، وكل خيارات من أنواع الطعام حتى تسوء المعيشة، التي تضعف المناعة ويكون الجسد محطة للأمراض.

ب/ مرض الأب: في المقطع الموالي تصف درجة مرض أبيها حيث تقول:

"استيقظ عند بداية النهار محمومًا، ولم ينم طوال الليل، ظللت أغير قطعة القماش المبلولة على وجهه، ويهذي حين تشتد الحمى على جسده، لكنه قام من مكانه، استند عليّ وعلى الحائط..."¹²

وتقول: "... كان يرتجف مثل مقرر، تخطفت الحمى جسده، كان ينادي على أمي حين انتصف الليل، وتمتزج الدُموع بالعرق، ثم ينادي على منصور.... ظل أبي طوال أسبوع حبيس الكوخ، تزداد حالته سوءًا، زارنا بعض الفلاحين فقط، والآخرين خشوا أن يعاقبهم كافيًا"¹³

درجة تتألم لتألم أبيها من المرض المتمثل في الحمى التي سقت جسده، بدون معالجة بدواء أو طبيب لانعدام ذلك وقلة حيلتها، فالأب كان حلبة صراع بين مرضه وبين فقره وإهانته من طرف كافيّار، وتذكر زوجته وابنه منصور، والخوف على مصير ابنته من بعده، وهذا يضعف مناعته مما يزيد من فتك المرض به.

رابعاً: الجهل: من خلال الخطاب السردجي لشخصية درجة أن الجهل والامية فاشية ن لدرجة أنها لم تذكر كتاب في القرية أو أنها تلقت تعليماً ولو بسيطاً، بل حتى الحلم بالتعلم غير موجود، وكأنه صار واقعا مقبولاً معهوداً، حتى ذكرت أن أباه رغم أنه يحب القرآن والصلاة، لم يكن يحفظ من القرآن سوى سور قليلة ليصلي بها حيث قالت: "كان أبي يحب الله والصلاة والقرآن، رغم أنه لم يحفظ منه الكثير، عدا السور التي يصلي بها"¹⁴

خامساً: فقدان الأسرة والحبيب:

لخصت درجة فقدان أسرتها الأب والأم والأخ منصور في قولها:

"عليه أن يدرك أن المسافة بين القرية والمحروسة كانت كلها قبورا، دثرت أمي، ثم أتبعها أخي، وغاب أبي، لأجد نفسي وحيدة أمام قبره." ¹⁵

1/ فقدان الأصل (الأب)، تقول دوجة: " دعوت الله كي يقرب أبي منه، ويدخله الجنة" ¹⁶

في الفقرة السابقة يظهر جليا مدى حزن دوجة على أبيها الذي كان سند لها بعد وفاة أمها وأخيها منصور، ويضمن لنا الروائي أن سبب الموت هو الاستعباد من طرف المستعمر للعمال الجزائري ممثل في أب دوجة والضابط كافيار الفرنسي فسوء التغذية والمرض والاستعباد كافية لقهر الجمل القوي فما بالك بالإنسان الضعيف.

2/ فقدان العُضد (الأخ) ، تقول دوجة:

" وفي الصّباح الأخير ، تحسّست جسده، كان باردا لم يرتعش من أثر اللمسة الأولى، أدركت أن منصورا قد رحل إلى العالم الآخر، وبكى أبي، انهمرت عيون أمامي، لم نخبر أحدا من أهل القرية ونحن نحفر له قبره يمين قبر أمي، حفرة صغيرة أسلمه أبي داخلها، هممت بمنعه، خيّل إلي أن منصورا لا يزال حيا، وسيختنق بها، ثمّ أزاح عن وجهه..... ، بكيت حين غاب وجهه بعد أن سقّف القبر، وبكىنا طويلا ونحن نكومّ التراب فوق جسده الطويل." ¹⁷

المقطع يظهر حزن دوجة على وفاة أخيها منصور ، وحزنها لحزن أبيها عليه .

3/فقدان الحبيب، تقول دوجة: " افترشت مكان نومه، وظللت أهدق في الكوة إلى أن سمعت حركة رجليه، ثم رأيت شبحة، وقف إلى جانبي، فصرخت به، بدا أكثر هدوءا، اقترب مني، وأسّر لي انه راحل نهاية الأسبوع، ولم أدر أي شيء انتابني، داهمتني رغبة فبكيت إلى جانبه، بالتأكيد لم يكن السّلاوي ليشعر بي، لن يدرك أنه من اليسير أن تألف المرأة رجلا ولو للحظات قليلة من عمرها، فما بالك بأيامي الأخيرة معه، ثم يقف ويقولها بهذه بساطة ،أنني سأرحل يا دوجة نهاية الأسبوع" ¹⁸

في هذا الخطاب تصف دوجة ألم فراق الحبيب حمّة السّلاوي الذي أخبرها برحيله قريبا حتى فقدت الأمل في كل سند ، وتيقنت أن تصبر على فراقه وتتعود عليه.

المبحث الثاني : معاناة المرأة الجزائرية في الاستعمار كأنثى.

المرأة الشابة وخاصة التي لها قدر من الجمال ، تكون مطمح للرجال في الحالات العادية بين الأهل ، فما بالك في وجود المستعمر وغياب الرفيق الذي يحمية من كل متحرّش بها ، وهذا ما تعرضت له دوجة .

أولا فقدان الشرف: الاستعمار الفرنسي أمعن في إهانة الشعب بمختلف فئاته وخاصة المرأة لمكانتها في المجتمع ، ودوجة الشابة الجزائرية كمثال ، فبعد فقد الأب ، ماكان لها بد سوى السفر إلى

العاصمة للبحث عن لقمة العيش ومكان يأويها إلا أن وجدت نفسها في حضن المزوار المشرف على البغي، وهي تحكي كيف فقدت عذريتها .

"صرخت حين قبضت يد المزوار على يدي، لكنه لطمني بقوة وسحبني، وعبر بي باب الغرفة، لم تتفجع مقاومتي له، خدشت بعض جسده، لكنه كان يقطع عني الثياب، ويرميها جانبا، ويكتم صوتي المخنوق، وحين أنهكت فقد توغل بين ساقي انتقضت وظل يصعد وينزل فوق جسدي.." ¹⁹

"كنت عارية ومستلقية على فراش قديم، تحسست جسدي المتورم، وأثار أصابعه عليه، وبقايا دم جاف على ساقي، أبصرت المشهد مفزوعة، واختنقت بالبكاء، لم استطع الوقوف والسير، التفت حولي فرأيت مزق ثيابي، لم أغادر مكاني حتى نهاية اليوم" ²⁰ في هذا المقطع

- 1- العنف مورس ضد دوجة بقسوة.
 - 2- اغتصاب دوجة لم يكون بموافقتها.
 - 3- آثار العنف الجنسي ظاهرة على جسدها.
 - 4- جهلها بالمعاشرة والعلاقة الجنسية.
 - 5- المعتدي تركها وحيدة تعاني مرارة الاغتصاب.
 - 6- العاصمة كانت أسوأ من القرية في معاناة دوجة
- وهنا يبينها الروائي أن في الاستعمار كل الأماكن تكون مواطن ظلم وعدوان.

ثانيا: استغلال دوجة في البغي:

بعدها فقدت دوجة عذريتها باغتصابها من طرف المزوار ، صيرها ملكا مشاعا في المبغي ، يتداول عليها الرجال حيث تقول: " يجب أن تعرف أن ذلك الأسبوع الذي قضيته مع المزوار كان يعادل كل أوجاعك، أسبوع حولني إلى المبغي.... وفتت إلى جانبه امرأة طلب منها أن تتظفني، وتلبسني أجمل ما لديها من الثياب، وغادر البيت دون الالتفات، كان أكثر جدية، مثل تاجر يحرص على بيع سلعته في وقت ضئيل، شدت المرأة على يدي وسحبنتي، وفي الرواق الطويل كانت بنات كثيرات يبتسمن لي، بدا لي أنهن معتدات عن المكان،..... وبقطعة قماش غمستها داخله فركت مابين ساقي ،وكأنني لا أملك إلا ذلك المكان ، حرصت المرأة ان يكون أكثر نظافة من بقية الجسد..... " ²¹

"كانت المرأة لا تزال تحملق في وجهي، تحولت غلظتها إلى ابتسامة، ثم إلى كلمات، اقتربت مني وهي ترش العطر على جسدي العاري، وقالت: إنك نحيفة لكن جسديك مع هذا جميل، سيسعد الآغا به كثيرا، ويملاً حجرك بدنانير السلطان الذهبية.."

سرت بجانب المزوار، نقطع الطريق نحو بيت الآغا،..... عليك بطاعة الآغا في كل ما يطلبه، وسيصبح لك بيت يأويك، ولقمة تأكلينها، أغريه كفاية....." ²²

في هذه المقاطع من الرواية تصور لنا دوجة معاناتها في المبعى على يد المزوار الذي أفقدها عذريتها، ليجعلها سلعة رخيصة عند أسياده الأتراك، فقد طلب من المرأة تنظيفها وتزينها قبل تسليمها إلى الآغا، كسلعة يتكسب بها، فهو يوصيها بالرؤوخ لرغبات الآغا حتى تتحصل على المال والمسكن والطعام، ثم تروي لقاءها مع الآغا الذي لم يكن أحسن حالا من المزوار، سكييرا زير نساء يتلذذ بالفاحشة مع بنت جزائرية فقدت أهلها وسندها بسبب الاستعمار الفرنسي. في هذين الفصلين تبين أن الاحتلال لا يرحم الضعيف وخاصة المرأة فبعد أن أفقدها حقوقها في المعيش والكرامة مع الأهل والتعليم، هاهو يذلها كأنثى ويجعلها سلعة يتلاعب بها الرجال في المبلغ ويتسلى بها الحاكم في بيته.

المبحث الثالث: الجمالية الفنية في الخطاب السردى لدوجة.

من تمايز الخطاب الأدبي أن يكون متمردا منفردا من ناحية بنائه الشكلي أو من ناحية التعابير والتراكيب الفنية التي وظفها الروائي تتضمن الغرابة و الضمنية والإيحاء والبيان، وهو ما يبين عن المستوى الفني وهو من نتاج الفرد المبدع، وهي لذلك شخصية تصدر عن عبقرية المبدع البليغ، وتتعدى ما هو نمطي اصطلاحى ²³

أولاً: من ناحية البناء

كل خطاب أدبي يبنى على هيكل يميّزه، ويتمظهر ذلك من خلال سرد الأحداث، في روايتنا الديون الإسبرطي لصاحبها عبدالوهاب عيساوي، هيكلها مؤلفة من خمس قصص لخمس شخصيات إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر من الفترة 1816 إلى 1833 م، من بينها قصة دوجة التي تسرد فيها معاناتها من الاستعمار الفرنسي خلال هذه الفترة، مقسمة على خمسة مقاطع حسب أقسام الرواية الخمس، وكل مقطع خاص بدوجة يتضمن فكرة، تبدأ بإجمال قصتها ثم تفصيلها حسب معاناة دوجة.

أ/ تسلسل أحداث قصة دوجة في الرواية

مثلما هو متعارف عليه في الروايات المعاصرة تبدأ الشخصية من نهاية قصتها ثم تشرع في تفاصيلها حسب حدوثها.

في المقطع الأول من القسم الأول من الرواية في قصة دوجة فكرة عامة :

معاناة دوجة إبان الاستعمار الفرنسي خلال فترة أحداث الرواية من 1830 إلى 1833م.

في المقطع الثاني من القسم الثاني من الرواية في قصة دوجة فكرة جزئية :

معاناة دوجة في القرية: الفقر وفقدان الأب والأخ.

في المقطع الثالث من القسم الثالث من الرواية في قصة دوجة فكرة جزئية :
معاناة دوجة في العاصمة وفقدان الشرف والاستغلال في المبعى.

في المقطع الرابع من القسم الرابع من الرواية في قصة دوجة فكرة جزئية :
دوجة في بيت ابن ميار.

في المقطع الخامس من القسم الخامس من الرواية في قصة دوجة فكرة جزئية :
معاناة دوجة من فقدان الحبيب حمة السلاوي وأسرته ابن ميار الحاضنة لها.

ب/ الربط بين الشخصيات

لم يهمل الروائي عبدالوهاب عيساوي علاقات بين شخصيات الرواية ، حيث كانت أسرة ابن ميار حاضنة لدوجة من الشارع والمبعى متمثلة في ابن ميار وزجته لالا السعدية تقول دوجة: "من غرفتي في بيت ابن ميار تصلني لقلقة الطائر"²⁴، وعلاقة دوجة بحمة السلاوي حيث نشأت بينهما علاقة حب وزواج على وشك التحقق تقول دوجة: (وأسرعت يد السلاوي الأخرى تدغدغني"²⁵ وعلاقة دوجة بكافيار تقول دوجة: "زارنا بعض الفلاحين فقط، والآخرين خشوا أن يعاقبهم كافيار"²⁶، الذي كان يمثل وجه المستعمر بقساوته على الجزائريين ومنهم أبودوجة.

فدوجة لها علاقة بثلاث شخصيات من الرواية حمة السلاوي، ابن ميار كافيار لم يبق سوى ديبون الصحفي لخصوصية الشخصية لأنه مرافق للحملة كصحفي لا شأن له بالجانب الاجتماعي للمستعمر، وهذا الترابط أسهم في حبكة الرواية وجعل أحداثها تتفاعل بمنطقية أضفى عليها ذوقا متميزا يجذب المتلقي.

ج/ الخطاب السردى عن طريق الشخصية الروائية له وجاهة تتمثل:

- 1- تنوع السرد وفق الشخصيات.
- 2- إبراز الأحاسيس النفسية والرغبات والميولات والعواطف حزنا وفرحا.
- 3- أقرب إلى الصدق لأن الشخصية تحكي عن نفسها وكأنها قصة حقيقية.

ثانيا : من ناحية اللغة و التعابير

حتى يبلغ الخطاب الروائي الأدبية ، ويقنع المتلقي ويؤثر فيها ، لا بد له من متطلبات وتقنيات الجمال ، التي تتمثل في العبارات الجديدة والغريبة والمنزاحة ، بالإضافة إلى توظيف الحكم والأمثال والنصوص والتراثية ، وحسن صوغ التشبيهات والخطاب السردى لشخصية دوجة في رواية الديوان الإسبرطي ، لا يخلو من هذا ندل على ذلك بأمثلة منها:

الصوفية والأسطورة في المقطع الخاص بدوجة من القسم الأول من الرواية:

تقول دوجة: "ثم دخلت لالا السعدية في ثوب الخروج وطلبت مني مرافقتها إلى ضريح عبد الرحمن الثعالبي..... وفتت يومها أمام الضريح، سمعت لقلقة الطائر من بعيد، فتطلعت إلى المئذنة ولمحت جزءا من بياضه، أهل المحروسة يعتقدون أنه طائر صالح يجاور حارس المدينة، بينما اعتقدت أن روح أبي تجسدت في الطائر الأبيض، وحرص هعلى حمايتي مثلما يحمي فراخه.."²⁷ في هذا المقطع زيارة قبر الولي الصالح عبدالرحمن للدعاء عنده والنذر عنده لأنهم يرونهم واسطة بينه وبين الله، فيه أيضا الاعتقاد أن هناك علاقة بين الطائر وقبر الولي الصالح عبدالرحمن، والاعتقاد أن أرواح الأموات تحل في الطائر كما ذكرت دوجة أن روح أبيها في الطائر وأنه سيحميها مثلما يحمي فراخه، وهذه كله من توظيف التراث عند المجتمع الجزائري الذي يؤمن ببركة الصالحين بعد وفاتهم وبالأساطير المروية عنهم، وفي تشويق ومدعاة إلى التوغل في عالم الغيب.

العبارات المنزاحة في المقطع الخاص بدوجة في القسم الثاني من الرواية:

ويرجع أبي أليجد منصورا يواصل انحداره، هذه العبارة تعبير غير مباشر وغير مألوف عن سوء حال منصور أخيها، فهي مثل حجر يواصل سقوطه في قاع بئر .

وبعد سنوات اكتشفت أن الهدايا الليلية هي التي كانت تسعدها، في هذه العبارة تعبير منزاح فالهدايا في أشياء مادية، لكن فعل معنوي وهو جماع أبو دوجة مع أمها سبب للألم سعادة، وفعلا الزوجة تسعد بمباشرة زوجها بعد غيابه عنها، لكن الروائي عبدالوهاب عيساوي صورها في قالب تعبيرى جديد.

عرفت أن أخي رحل إلى العالم الآخر، تعبير غير مباشر عن الوفاة والانتقال إلى حياة غير حياتنا الدنيا.

أمثلة من المقطع الخاص بدوجة في القسم الثالث من الرواية:

تقول دوجة:

"ثم اكتشفت أن انتظار المرأة للرجل لا يمكن أن يخلو من الجسد، وبعد أن جربت نضوح عرق الرجال على جسدي، صرت أحن إلى الشوق الخالي من الجسد واجتمعا الشوقان حين تعرفت على السلاوي."²⁸

في هذا المقطع تعبير غير مباشر أن المرأة إذا أحببت رجلا تشتاق إليه اشتياق أحببتها فدوجة كانت مجبرة على مضاجعة الرجال عنوة فكانت تكره ذلك، وعندما تعرفت على السلاوي أحبته صارت تشتاق إليه جسديا وعاطفيا مثل اشتياقها لأبها وأخيها.

تقول دوجة: يحتاج المزوار إلى الآلاف من الحيوانات كي تقتله فيها ،وهي عبارة ذات بلاغة عن شدة تسلط المزوار وشدة تعذيبها منه، يعني أنه يستاهل الموت ألف مرة جراء ما ارتكبه من الآثام .

وفي المقطع الخاص بها من القسم الرابع

"الآن فقط سيصغي إلى الحكاية كلها"، وهذا تعبير غير مباشر ، أن شفاءه سيطول وستحكي له كل ما وقع لها في القرية والمحروسة ،وتأنس بقربه.
توظيف الأساطير والصوفية في قول دوجة: " تتبعت شبح المرأة القادمة، كانت لالا السعدية تسير ببطء، ثم همست حين دنت مني:
- أسمع شهيقك يا دوجة ما الذي حدث؟
- الطائر كان يبكي يا لالة، لم أدر أي شيء يكدره.
- يا الله لطفك، إنّه فأل سوء²⁹."

وهذه ثقافة شعبية سائدة،وهي التنبؤ بما يحدث لاحقا إن شرا أو خيرا ، من تحركات الطائر أو غيره.

وفي المقطع دوجة في القسم الخامس من الرواية:

تقول دوجة : بدا لي أن الرحلة أضافت له سنوات أخرى من عمره ، وهذا تعبير غير مباشر أنه ظهر عليه تعب وإرهاق مثل الذي تقدم في السن بعد سنوات كثيرة.
وتقول : طالما ردد السلاوي أنّ هؤلاء المترجمين يطاردون حلم الثراء في المحروسة، يعني يتقاضون أمولا طائلة مقابل ترجمته من الفرنسية إلى العربية والعكس لأنه قلة يحتاجهم المستعمر للتواصل مع أهالي المحروسة ،وهي عبارة فيها صور بيانية مطاردة حلم الثراء، وكأن حلم الثراء حيوانا يطارد،وتقول : ولم يكن الرحيل عن المحروسة لمحبيها إلى وجها آخر للموت. عبارات أقرب للحكمة ،هي أن فراق الوطن والسكن موت معنوي ربما أشد من الموت الحقيقي.

خاتمة

مما سبق يمكن القول أن الروائي عبدالوهاب عيساوي أفرد دوجة بخطاب خاص كان بمثابة قصة مستقلة تروي معاناة كل امرأة جزائرية في ظل الاستعمار الفرنسي تعرضت فيه إلى عذبات شديدة معنوية ومادية، وهي حقيقة كل استعمار بأن يهين السكان الأصليين للبلد المحتل، حتى يضمن عبوديتهم له ،وعدم التفكير في التحرر والثورة عليه ، لكن بدل أن يسرد الروائي هذه المعاناة في قالب نمطي معتاد، أبدع في هيكلة هذا الخطاب من ناحية الشكل من حيث البداية بنهاية القصة

بذكر معاناة المرأة ثم تفصيلها حسب المقاطع في الأقسام الخمسة من الرواية وأحسن الربط بين شخصيات الرواية مع شخصية دوجة ، كما أخرجها في لغة أدبية تتوافق مع خطاب الرواية المعاصرة مثل الرمزية ، تنوع الخطاب اللغوي ، لهجات محلية ، أمثال شعبية ، تشبيهات وظيفية ، خيال جديد ومشوق ، وترك فجوات يملؤها الملتقي كل هذا لجعل الرواية قبلة لجمهور القراء .

الهوامش:

- ¹ عبدالوهاب عيساوي، رواية الديوان الإسبرطي ، دار ميم للنشر،الجزائر، ط1 2018 ، ص 156.
- ² ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب، حرف أ، ص 222-223
- ³ الآية 41، سورة آل عمران.
- ⁴ عبدالقادر سلامي وأمينة بلهامهي، الرمز والرمزية في التراث الغربي والعربي الحديث ، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية والغوية ، أبريل 2013، العدد 03، ص 34.
- ⁵ عبدالوهاب عيساوي ، الديوان الغسبرطي ، مرجع سابق ، ص 157.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 70.
- ⁷ أ.عبود علي، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، مجلة المرأة ، ديسمبر 2015 ، العدد 04، ص 85.
- ⁸ المرجع نفسه ، ص 157.
- ⁹ المرجع نفسه ، ص 158.
- ¹⁰ عبدالوهاب عيساوي ، الديوان الإسبرطي، مرجع سابق ، ص 159/160
- ¹¹ عبدالوهاب عيساوي ، الديوان الإسبرطي، مرجع سابق ، ص 156/157
- ¹² المرجع نفسه ، ص 232.
- ¹³ عبدالوهاب عيساوي ، الديوان الإسبرطي، مرجع سابق ، ص 233
- ¹⁴ المرجع نفسه، ص 232.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 89.
- ¹⁶ المرجع نفسه ، ص 233.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 165.
- ¹⁸ عبدالوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، مرجع سابق 377.
- ¹⁹ عبدالوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، مرجع سابق ص 241.
- ²⁰ المرجع نفسه، ص 242.
- ²¹ عبدالوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، مرجع سابق، ص 302.
- ²² المرجع نفسه، ص 303.
- ²³ عبد الحكيم راضي ، نظرية اللغة في النقد الغربي، مكتبة الخزانجي، مصر، دط، 1980، ص 80.
- ²⁴ عبدالوهاب عيساوي ، الديوان الإسبرطي، مرجع سابق، ص 307.
- ²⁵ المرجع نفسه، ص 374.
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 233.
- ²⁷ عبدالوهاب عيساوي ، الديوان الإسبرطي ، مرجع سابق ص 80.
- ²⁸ عبدالوهاب عيساوي ، الديوان الإسبرطي ، مرجع سابق ص 238.

المصادر والمراجع:

- 1/ القرآن الكريم ، رواية حفص.
- 2/ إدوارد الخراط، الحساسية الجديدة مقالات في الظاهرة القصصية، دار الآداب بيروت ط1، 1993.
- 3/ ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب، حرف أ، ص 222-223
- 4/ حلمي محمد القاعد، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث: دراسات تطبيقية، ط1 ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2008.
- 5/ سعيد يقطين،، السرد العربي مفاهيم وتجليات، ط1 ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2006، ص 200.
- 6/ عبد الحكيم راضي ، نظرية اللغة في النقد الغربي، مكتبة الخزناجي، مصر، دط 1980، ص 80.
- 7/ عبدالقادر سلامي وأمينة بلهامهي، الرمز والرمزية في التراث الغربي والعربي الحديث ، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية.
- 8/ عبدالوهاب عيساوي، رواية الديوان الإسبرطي ، دار ميم للنشر ، الجزائر، ط1 2018 .
- 9/ عبود علي، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، مجلة المرأة ، ديسمبر 2015 العدد 04، ص 85.
- 10/ // ، الاستيطان والصراع على ملكية الأرض 1830 إلى 1899م، وهران ، 2014.
- 11/ فيصل الأحمر حداثة الخطاب في الرواية الجزائرية المعاصرة ، قسنطينة ، 2010.
- 12/ محمد برادة ، الرواية العربية وهران التجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، 2012.
- 13/ Todorove.T les categorie du recit litteraire dans l analyse structurale du Tzvitant recit.